القومية 22 . 25 يونيو 1965م، إلى ما يلي :

((إننا ونحن نسجل كل هذه النواحي الإيجابية لجبهة عدن من الضروري أن نشير إلى النواقص التي تتعرض لها جبهة عدن، ذلك أنّها تحتاج إلى عناية خاصة ودقيقة من الجبهة، وبالذات توفير كل المتطلبات فالأسلحة الخفيفة التي تحتاجها عدن غير متوافرة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ العمل الفدائي دون تموين مالي ثابت، حتى قبل أشهر قليلة ظل خارج الاعتماد الرئيسي الذي تقدمه الجمهورية العربية المتحدة لجبهات القتال وظل العمل الفدائي يعتمد على ما تحصله الجبهة من مساعدات بسيطة من مصادر خارجية أخرى)).

النشاط الفدائي في عدن

أولاً : الإعداد :

بسبب العوامل والظروف التي سبق استعراضها، وطنياً وعربياً ودولياً، فقد اختط التنظيم السياسي للجبهة القومية، أسلوباً خاصاً في العمليات العسكرية الفدائية في عدن معتمداً على الواقع الاجتماعي الخاص والعامل الجغرافي وأخذاً بعين الاعتبار العادات والطبائع والتقاليد المتميزة لشعبنا واستعداد شعبنا لتحمل قسوة الحياة التي ستنجم عن تصاعد العمليات العسكرية في هذه المدينة الصغيرة.

وقد اتضح أنّ شعبنا كان على استعداد تام للتضحية من أجل الحرية والسيادة على أرضه، بل كان السند والحامي الأساسي لكل عملية نضالية يقوم بها المناضلون ضد الأهداف الاستعمارية وضد العملاء، ورفع هذا التلاحم بين الشعب ومناضلي الجبهة القومية الروح الكفاحية والمعنوية بينهم ولعب التجاوب المنقطع النظير دوراً في زيادة فعالية العمليات العسكرية داخل المدينة.

وقد كانت عيون المواطنين رقابة تلقائية لحماية المناضلين من الجواسيس والقوات البريطانية التي كانت تبتكر أساليب شتى للنيل من المناضلين في القطاع الفدائي والقطاعات الأخرى... وكانت منازل المواطنين تُفتح تلقائياً عندما يشعرون بأنّ الفدائيين معرضون للملاحقة أو وقع أحدهم في مأزق، ويجدون كل رعاية وعناية مختلفة، وتقدم لهم المساعدات الممكنة، في الاستطلاع والإخفاء دون أية معرفة مسبقة ويقدم كل ما يمكن تقديمه من الأغذية والحماية الخاصة.

وإذا كان التنظيم السياسي للجبهة القومية قد حقق هذا النصر، وبفترة قصيرة، فإنّ ذلك كله وبدرجة أساسية يعود إلى الفضل والدور العظيم الذي لعبه شعبنا وحركته الوطنية اليمنية، الذي لولاه لما تمكنت الثورة من نيل الاستقلال وتحقيق المنجزات العظيمة في هذا الشطر من الوطن اليمني وفي عموم اليمن.

لقد كان لوجود التنظيم السري داخل مدينة عدن وفي مختلف المواقع الأساسية والرئيسة أثره الفعّال في بناء التشكيلات الفدائية، وقيام العمل الفدائي، كما لعب الإعداد والتحضير المسبق لقيام العمل الفدائي، كجزءٍ مكمل ومهم للعمل السياسي المسلح في الأرياف. دوراً كبيراً قبل وبعد تشكيل الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل من حيث :

أ . اختيار العنصر البشري من بين القطاع التنظيمي المدني.

ب . تدريب الفدائيين في شمال الوطن وفي عدن نفسها على الأسلحة المتوافرة، لاستخدامها في تنفيذ العمليات الفدائية.

ج . إدخال الأسلحة وتخزينها وتدريب عناصر في الداخل عليها وبالذات من أولئك الذين لم يتمكنوا لأسباب أمنية من السفر إلى الشمال أو لأسباب أخرى تتعلق بأعمالهم ومشاكلهم الداخلية.

د . توفير الوسائل الإعلامية الضرورية للعمل الإعلامي والشعبي في الداخل من أجل تغطية النشاطات السياسية والنضالية للثورة.

هـ . توفير المنازل والأماكن السرية للعناصر القيادية وللأسلحة وللعناصر الفدائية المتفرغة وللاجتماعات، إلى جانب استخدام منازل بعض الأعضاء والأنصار.

و . شراء السيارات والدراجات النارية لأغراض العمل العسكري والشعبي من قبل عناصر غير مشكوك فيها، وغير مكشوفة، إضافة إلى استخدام أسماء وهمية للذين يقومون بشراء السيارات أو المنازل وغيرها من الوسائل الخاصة بالعمل التنظيمي.

ز . وجود جهاز أمني خاص وسري للغاية تابع للجبهة القومية مسؤول عن متابعة كافة النشاطات داخل المواقع المهمة للجيش البريطاني وعملائه، إضافة إلى تكليف العناصر التنظيمية كل في مجاله برفع المعلومات وإعطاء كافة التفاصيل عن العناصر العميلة والمخابرات البريطانية ونشاطاتها ضد الثورة وأنصارها ونواياهم وتحركاتهم من أجل تزويد القيادة أولاً فأول، بمعلومات وافية عن نشاط القوات البريطانية في مناطق الجنوب، حتى تستطيع اتخاذ الإجراءات والحماية اللازمة لتحركات الفدائيين.

وقد تمكّنت الثورة من خلال هذا الجهاز توجيه ضربات قوية للرؤوس العميلة من المخابرات البريطانية وعملائها، وكذا في عمليات الحماية الأخرى مما ساعد على عملية التحرك والنشاط ذي الاتجاهات المختلفة.

ح . وجود القيادات السياسية والتنظيمية والعسكرية الصارمة التي اعتمدت في عملها على مبدأ المركزية ((نفذ ثمّ ناقش)) وبشكل أساسي على مبدأ السرية الكاملة، إضافة إلى اللوائح الانضباطية الصارمة المطبقة على الأعضاء التي شكلت عاملاً مساعداً إلى حد كبير في عدم التردد وعدم تمكين الأعضاء من الوقوع في مطبّ الثرثرات التي تشكل خطراً جسيماً على النشاط العسكري السري في ظروف الاستعمار.. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان محرّماً على أي عنصر تناول أو تعاطي المشروبات الكحولية.. وكانت تنزل العقوبات الشديدة، بمن يكشف أنّه يتعاطى ذلك.

وعلى الرغم من المساوئ والمآسي التي سببتها هذه المركزية ونظام الطاعة المركزي وتلك اللوائح الانضباطية الحديدية، ومادة التثقيف السياسي ((ساطع الحصري)) و((الحكم دروزه))، وغيرهم من روافد الفكر القومي وعلى الرغم من التربية السياسية ذات الاتجاهات الضيقة، والتي ينبغي لنا أن نحاكمها بمنظار ذاك التاريخ وتلك المرحلة وليس بمنظار وتاريخ اليوم، فقد لعبت تلك المسائل دوراً انضباطياً فعالاً اقتضته المرحلة التاريخية المعينة، وساعد إلى حد كبير على تحقيق الاستقلال الوطني لشعبنا وما رافقه من تحولاتٍ وطنيّة ديمقراطية بعد الاستقلال.

وقد تركت في ذات الوقت آثاراً سياسية وأيديولوجية وتنظيمية سلبية لمرحلة ما بعد الاستقلال، خصوصاً عندما وجد التنظيم السياسي للجبهة القومية نفسه على رأس السلطة السياسية في عملية تحول من تنظيم يناضل لطرد محتل تحت ظروف وأساليب عمل سرية، إلى تنظيم في السلطة أمامه مهمات جديدة ومعقدة وفي غاية الصعوبة والتداخل.. لقد برزت العديد من الثغرات كنتاج طبيعي للتركيب الاجتماعي وللتربية السياسية والأيديولوجيةً لمرحلة ما قبل الاستقلال.. وظهرت تناقضات اجتماعية وأيديولوجية وتنظيمية وتباين في الفهم المشترك لمرحلة استكمال التحرر الوطني، وأدت تلك التناقضات إلى تصدع التنظيم السياسي الجبهة القومية، وهي امتداد للصراع الداخلي الذي بدأ مبكراً في أول مؤتمر للجبهة القومية حول الاختيارات السياسية والأيديولوجية، التي حسمت في ما تناوله الميثاق الوطني من اتجاهات سياسية وأهداف اقتصادية واجتماعية مختلفة تشكل خطوة إيجابية متقدمة جداً.

ط . التهيئة السياسية، لكافة قطاعات الشعب من خلال المظاهرات والمسيرات والمنشورات والندوات وتوجيه الإنذارات للعملاء والإضرابات والعمل البطيء وحركة التمردات والوقوف ضد مختلف الأشكال القانونية والتشريعية للاستعمار البريطاني وعملائه كقيام المجلس التشريعي والمجلس الاتحادي وقوانين العمل والجنسية.. الخ.

لقد كانت هذه النضالات اليومية من المسائل التي جعلت حركة الجماهير اليمنية تعيش في مرحلة الإعداد والتهيئة للدخول في شكل جديد راق هو العمل الفدائي الذي يعتبر. في ظروف الاستعمار المباشر. أرقى أشكال النضال واللغة الوحيدة التي تجعل المستعمر يفهم حقوق الشعب ويسلم بها ... خصوصاً بعد فشل الأحزاب كافة كالرابطة وحزب الشعب الاشتراكي.

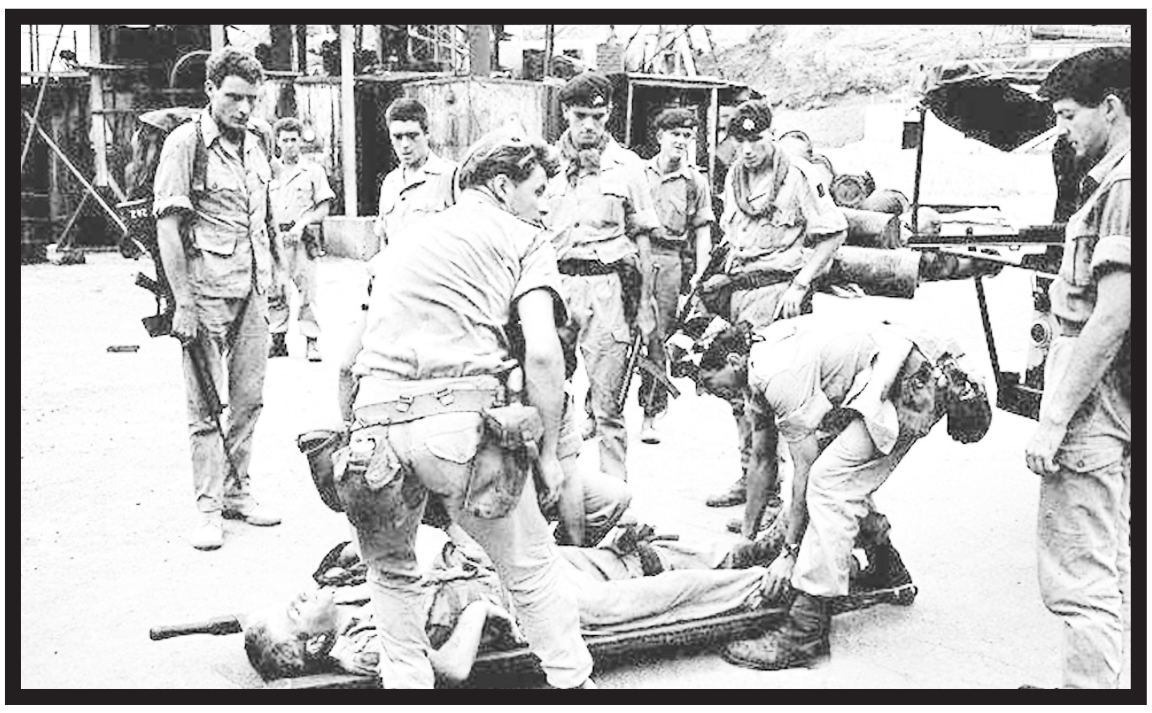

ثانياً : شروط وصفات العنصر الفدائي في جبهة عدن

بسبب المميزات الخاصة لمدينة عدن الصغيرة التي تحاصرها القوات البريطانية بترسانة ضخمة من الأسلحة، فإنّه ترتب على ذلك أن يكون العنصر الفدائي هو الآخر متميزاً تماماً عن فئات الشعب الأخرى حتى يستطيع تنفيذ المهمات العسكرية بأقل الخسائر.

وإليكم تلك الشروط التي كانت الجبهة القومية تعتمدها في استقطابها لعناصرها الفدائية :

1 . يتم الاختيار من بين القطاع التنظيمي الشعبي الذي أخذ قسطاً معيناً من التجربة في العمل التنظيمي السري داخل التنظيمات التي تكونت منها الجبهة القومية قبل تشكيلها، ومن الذين انخرطوا في صفوف الثورة بعد قيامها.. حيث يقوم بترشيح مثل هذه العناصر المسؤولون القياديون المباشرون عنهم بعد عملية جمع المعلومات والدراسة والتقييم لإمكانياتهم الضرورية التي تمكنهم من أن يقوموا بالعمل الفدائي ومعرفة صلابتهم وقدراتهم المختلفة، ومدى تمسكهم بقواعد العمل السري.

2 . يتم الترشيح من بين الأنصار من قطاعات الشعب، وعلى الأخص من الذين للأعضاء الحزبيين عَلاقة ثقة وطيدة بهم، وعندهم من المعلومات ما يجعلهم يثقون بهم وبأنفسهم في ترشيحهم بواسطة المسؤولين المباشرين بعد مرور فترة الاختبار لهم وفي هذه الحالة يتم الآتي :

3 . يرشح الشخص من قبل شخص آخر ويُزَكّي هذا الترشيح عنصر تنظيمي يعرف المرشح، وبعدها يظل المرشح فترة زمنية تحت الرقابة كصديق، وتجمع عنه المعلومات بطرق وأساليب مختلفة يشترك فيها جهاز الأمن الخاص بالجبهة القومية، وعناصر حزبية أخرى، تحدد صلابته، صدقه وأمانته، ومدى التزامه بالسرية ومقدرته العملية عبر مجموعة من الاختبارات اليومية.

4 . يُقدَّم ترشيحه كعضو مرشح في القطاع الشعبي لفترة بعد أن يكون قد تم توجيهه لقراءة بعض الكتب، وأختبر في بعض المهام العملية، وبعد أن يكون قد عقدت معه مجموعة من اللقاءات غير الرسمية من قبل الشخص المكلف الاهتمام به وبكسبه، وبعدئذٍ يؤطر ضمن جماعة من المرشحين (من 3 إلى 5 أفراد)، حيث تظل عَلاقته دائمة بهم، ويُمرَّس على السرية واللوائح التنظيمية، وأداء القسم على المسدس أو القنبلة وفيما بعد على الميثاق الوطني.

5 . يتم تكليفه ببعض المهام الحزبية كتلخيص الكتب، والقيام بمراقبة بعض الأفراد الذين يكلفون بتوزيع المنشورات، ثمّ يكلف شخصياً بتوزيع المنشورات من أجل اختبار قدراته وصلابته العصبية والنفسية، وقدرته على الحركة والاختفاء، ومعرفة جوانب حفظه للسرية التي تعتبر شرطاً أساسياً تقتضيها ضرورة النضال.

6 . وإذا ثبت بعد هذا أنّه جدير، يقدم بعدئذٍ ترشيحه للقطاع الفدائي كمرشح، وهذا يعني أنّه يجب أن يقطعَ صلاته بكل زملائه السابقين الذين كان يعرفهم في العمل التنظيمي الشعبي بطريقة غير مباشرة.

وفي حالة المخالفة من قبل أيٍّ عضو، فإنّه يتعرض للعقاب الصارم... بالإضافة إلى أنّ العضو نفسه كان. من باب الاحتياطات الأمنية السرية . لا يعرف إلا الأسماء الرمزية أو كانت تسمى بالأسماء ((الحركية)).. إلا فيما ندر فإنّ الأفراد يعرفون بعض الأسماء الحقيقية للأعضاء.. وحينئذٍ يقوم جهاز الأمن الخاص بالجبهة بجمع معلومات عن سلوكه من أجل التأكد منه.

إنّ من مميزات الجبهة القومية أنّ قاعدة تنظيمها وأغلب قياداتها قد تشكلت من الفئات العمالية والفلاحية الفقيرة بحكم التركيب الطبقي للمجتمع اليمني في الجنوب الذي لم تساعد ظروف وجود الاستعمار على تحديده تحديداً دقيقاً، كما فعل في مناطق أخرى استعمرها.

ولقد ساعد هذا التكوين الطبقي للجبهة القومية على حفظ خط الثورة الوطني الديمقراطي وجنبها مخاطر عدة أكانت في مرحلة التحرير أو فيما بعد .. حيث أنّ هذه العوامل أحبطت محاولات عدة للانحراف النهائي بالثورة وخطها.

بعد عملية المرور بالمراحل الأربع لاختيار العنصر الفدائي يُحال إلى جهة محددة تقوم بعملية تأهيله وتدريبه على الأسلحة، وكان أكثر ما يدرّب عليه الفرد هو القنابل اليدوية، والمسدسات المختلفة، والرشاشات الخفيفة جداً، والتي كانت في الوقت نفسه متخلفة جداً ((لانكستر)) وعلى ((البلاندسيد)) الذي كان يُعرف وسط الشعب بـ ((البازوكا)) وعلى المفرقعات والأشراك الخداعية الموقوتة التي كانت تستخدم لعمليات النسف، وعلى الرشاش ((البرن)) الإنجليزي الصنع. ((وفي عام 1967م، تمكنت الجبهة القومية من الحصول على عدد محدود من الرشاشات الآلية التي كان يتم نقلها من منطقة لأخرى بخطورة وصعوبة في عدن)).

بعد إعداده وتدريبه على هذه الأنواع من الأسلحة كان يوضع ضمن جماعة فدائية سرية واحدة، قد لا يزيد عدد أفرادها عن خمسة أفراد في أقصى الحالات، وتظل تحركاتهم ولقاءاتهم متسمة بالسرية الكاملة لا يستطيع أي فرد من الجماعة أن يلتقي بالآخر إلا وفقاً لتعليمات من المسؤول المباشر عنهم... أما عند الاجتماعات التي يحددها أو عند القيام بعملية إما أو عند الضرورة، وقد كان لزاماً على المسؤول أن يُراعي كافة شروط السرية والنواحي الأمنية ويعمل على تجنب الخسائر قدر الإمكان. وهذه القاعدة كانت تعتبر أساس العمل التنظيمي داخل مدينة عدن للقطاعات كافة، حتى لا تتمكن الأجهزة الاستعمارية من الاستفادة من الثغرات السلبية.

أما الصفات الأساسية المطلوبة في اختيار العنصر الفدائي فتتحدد بالشجاعة، الإقدام، القناعة، الصدق، الأمانة، الحفاظ على السرية، الانضباط الحزبي الصارم، إطاعة التعليمات من دون تردد، تنفيذ التكليفات الحزبية، عدم التظاهر والتباهي على أسرته وزملائه في العمل، الحرص الدائم، على الصبر، التواضع، عدم تناول المخدرات، ومراعاة مشاعر المواطنين، والخضوع لكافة الأوامر التي تصدر من قيادته، تنفيذ التكليفات بشأن تلخيص المواد التي يُكلف بقراءتها، وأخيراً استعداده للتضحية والنضال ضد الاستعمار وعملائه.

ثالثاً : الإجراءات قبل القيام بأية عملية فدائية

قبل القيام بعملية عسكرية ضد البريطانيين أو عملائهم كان لابد من تحديد الهدف واختيار أو تحديد موقع تنفيذ العملية، والقيام بعملية استطلاع واسعة ابتداءً بجمع المعلومات ودراسة الموقع أو الهدف ورصد التحركات الكاملة لذلك الهدف، وما يحيط به من ظروف وملابسات وخطورة، ووضع أقصى الاحتمالات، ومن ثمّ وضع خطة تفصيلية شاملة يُحدد فيها عدد الأفراد، ودور ومهمة كل فرد في ضوء الاستطلاع المسبق لموقع العملية، ومكان الانطلاق للتنفيذ، وكيفية الانسحاب بعد التنفيذ، مع الأخذ بعين الاعتبار كيف سيتصرف العدو في أسوأ الأحوال، أو عند أيّ موقف غير متوقع في ذهن من خطط للعملية والمستطلعين... وهنا لابد من توفير الحماية الخلفية السرية والعلنية على ضوء طبيعة وحجم العملية ذاتها.

إنّ هذه المرحلة تعتبر من أهم وأخطر وأصعب المراحل التي تجابه العمل الفدائي في المدينة، وبالذات عندما تكون هناك عملية جماعية يشترك فيها عدد يزيد عن خمسة أفراد، وفي موقع صعب محاط بالتحصينات والحراسات كما حدث في عملية ضرب المطار العسكري من قبل جماعة من الفدائيين في منطقة ((الملاح))، حيث لم يكن يخطر بالحسبان أنّ الطائرات ((الهليوكوبتر)) ستقوم بعملية المطاردة وملاحقة الفدائيين وللسيارات المستخدمة في العملية إضافة إلى ذلك لم يؤخذ بالحسبان أنّ المنطقة مفتوحة ومناسبة لعملية المتابعة من قبل الطائرات، إضافة إلى وجود نقاط للتفتيش القريب في كل من ((كالتكس)) وجولة المنصورة المتجهة إلى السجن المركزي وكذا معسكر ((ليك لين)) المعروف الآن ((بمعسكر الشهيد عبدالقوي))، ونقطة الملاح نفسها إضافة إلى الدوريات المستمرة بين كل عشر دقائق داخل الأحياء.. الخ.. حيث أنّ الطائرات استمرت في عملية المطاردة من منطقة ((الدرين)) حتى تمكن الفدائيون من إسقاط إحداها فوق معسكر عبدالقوي.

وعملية أخرى، عند محاولة السطو على البنك البريطاني في كريتر الذي كان من المفروض أن يشترك فيها عشرة فدائيين، من أجل إنقاذ التنظيم السياسي الجبهة القومية من الأزمة المالية التي فرضت عليه عندما قطع الجهاز العربي المصري الاعتمادات المالية على الثورة بعد فرض اتفاق 13 يناير 1966م، وهو القرار الذي رفضته قواعد وقيادات الجبهة القومية، حيث كان الإنجليز قد قاموا بتطويق الشارع بعد أن لمسوا حركات غريبة وبسبب الوشاية من أحد العملاء العرب، الذي لاحظ تلك التحركات داخل الشارع لوجوه ((غريبة)) وتحرك سيارات بشكل ملفت للنظر، ساعده على هذا التمييز مقر عمله الوهمي كطباع عرائض داخل الشارع فرصد بسهولة كل التحركات وأبلغ الحراسات البريطانية التي كانت متمركزة فوق سطوح مباني البنوك ذاتها، وتمكن الفدائيون من الخروج بأعجوبة وفشلت العملية، بعد جهود ومتابعة كبيرة لتنفيذها في مهمة لإنقاذ الثورة في الحصار الذي فرض عليها.

وهناك عمليات أخرى تعتبر من أهم وأخطر العمليات الفدائية في مدينة عدن وهي تلك العملية التي اشترك فيها ما يقارب من ثلاثين شخصاً من الفدائيين لضرب الإذاعة في منطقة التواهي عام 1965م، التي كانت محاطة بحراسة مشددة جداً إلى جانب أنّها محاطة بقيادة البحرية البريطانية والمكتب المركزي للبريد، وليس لهذه الأماكن إلا مدخل واحد هو المخرج نفسه، بجانب نادي البحارة، وقد كانت المنطقة بكاملها محاطةً بحراسات مشددة للغاية بشكل عام، إضافة إلى الحراسات على كل مرفق من هذه المرافق كل على حدة، كالإذاعة، قيادة البحرية، سكرتارية المندوب السامي... الخ. ومع ذلك فقد كانت من أنجح العمليات واستخدمت في العملية مدافع ((البازوكا)) والقنابل اليدوية والرشاشات، على الرغم من إلقاء القبض على أحد الفدائيين، نتيجةً للخطأ الذي وقع فيه، لعدم تنفيذه وتقيده بالتعليمات التي أعطيت له حيث أنّ بهجة الفرح للانتصار الذي حققه بسبب شجاعة المنفذين ودقة الخطة، جعلته يهمل بعض المسائل التي اعتقد أنّها صغيرة في الوقت الذي تعتبر مثل هذه الصغائر في مثل هذه الأعمال النضالية الخطرة غاية في الأهمية!

وهنالك كثير من الأمثلة للعمليات والسلبيات التي حصلت لكننا كنا نستفيد دائماً منها، ونقوم بعد كل عملية بتقييمها ودراستها، حيث تكوّنت لدينا قناعات كاملة أنّ أهم الشروط الأساسية للعمليات الفدائية الجماعية وفي المواقع الخطرة هو وضوح الرؤية والتخطيط الجيد، وصلابة وشجاعة العنصر البشري المنفذ، وفحص المسائل المذكورة قبل التنفيذ، وفوق كل ذلك السرية الكاملة والتغطية الكاملة للإجراءات كافة.

هذا بصدد الإجراءات للعمليات الكبيرة الجماعية، وهناك نوع آخر من العمليات الناجحة جداً والفعالة والمؤثرة مادياً ومعنوياً على الاستعمار وعملائه، والخطيرة في الوقت ذاته، بسبب استكمال الإجراءات لها، وهي تلك العمليات الخاصة بالاغتيالات الفردية الموجهة ضد الإنجليز وعملائهم، التي كانت تعتمد على الرقابة الشخصية الدقيقة جداً للمنفذين، حيث كان المنفذون هم الذين يقومون بتحديد الهدف ومراقبته وأخذ المصادقة عليه وعلى العملية، وعندما تتوافر الظروف المناسبة والشروط اللازمة يقومون بعملية التنفيذ.

وهناك حالات تلعب فيها الصدف دوراً كبيراً حيث أنّ بعضاً من الفدائيين كانوا يجوبون الشوارع مسلحين، وبالذات المتفرغين، الذين كانوا مختفين، ويُصادف أن يلتقي بعضهم بأي بريطاني عندما يكون ماراً، إما بسيارته أو على الأقدام فيستغل الفدائي الفرصة ليقوم بتنفيذ العملية واتخاذ التدابير الشخصية للانسحاب والاختفاء وإبلاغ قيادته، وفي هذه الحالة فإنّ الجرأة والمهارة والخبرة السابقة تلعب دوراً بارزاً، إضافة إلى الطبيعة الخاصة التي أصبحت عادةً لدى الغالبية العظمى من اليمنيين بحكم عوامل لا ضرورة لذكرها هنا،